دلالة المعاني
عند حازم القرطاجني

The significance of meanings according to Hazem Al-Qartajani

م.د. ميسون أيوب عبدالقادر

قسم اللغة العربية/ كلية العلوم الإسلامية/ الجامعة العراقية

Dr.Maysoon Ayoob Abdulqader

Department of Arabic Language

Al-Iraqi University

College of Islamic Sciences

Maysoon.a.abdulqader@aliraqia.edu.iq

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 3 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.3 | Issue 41
ISSN: 2225-9732

December 2025

الملخص

تناولت هذه الدراسة مفهوم المعنى عند العلماء العرب القدامى بدءاً من الجاحظ وانتهاءاً بحازم القرطاجني، إذ تمثل المعاني في عرف اللغويين القدامى الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فالمعنى يعني الوجه الآخر للفظ، أو الصورة الذهنية المرتبطة بدلالاته.وجرى تقسيم المعاني إلى تفريعات مختلفة عند حازم القرطاجني ، بحسب سياقاتها الواردة، ومن تلك التقسيمات تقسيم المعاني إلى:المعاني الحسية وهي أن يكون لكل معنى من المعاني معنىً يناسبه أو يقاربه كالتشبيه، ومعنىً أو معانٍ تضاده وتخالفه كالمقابلة، والمعاني الذهنية وهي الأمور الذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالة عليها .وكذلك المعاني الأصيلة (المعاني الجمهورية) وهي المعاني التي يحسن إيرادها في الأغراض الشعرية لأنها تلامس قلوب الناس، والمعاني الدخيلة(المعاني الصناعية أو معاني المهن) وهي المعاني التي يمتنع إيرادها في القول الشعري، لكونها دخيلة على اللغة الأدبية ومصدرها التعلم والتكسب، لا الفطرة، وللمعاني عند حازم القرطاجني دلالات ثلاث وهي: دلالة إيضاح ،ودلالة إبهام، ودلالة إيضاح وإبهام.

Abstract:

This study addressed the concept of meaning among ancient Arab scholars,starting with AL-jahiz and ending with Hazin Al-Qaratajani.HazimAl-Qaratajani divided meaninngs into different branches,according to their contexts.Among these divisions is the division of meanings into sensory meanings ,in which each meaning has meaning that suits it or is close to it,such as simile,and a meaning or meanings that contradict and differ from it,such as contrast,and mental meanings,which are mental matters whose product is images that occur in speech through various methods of composing meanings and the words that denote them And also the authentic meanings(the republican meanings),which are the meanings tha are best presented in poetic purposes because they touch people's hearts,and the foreign meanings(the industrial meanings or the meanings of professions),which are the meanings that are forbidden to present in poetic speech,because they are foreign to the literary language and their source is learning and earning,not nature. And meanings,according to Hazem Al-Qartajani,have three meanings,which are:the meaning of clarification,the meaning of convergence,and the meaning of clarification and convergence.

المقــدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأفصح الناس أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

تتناول هذه الدراسة مفهوم المعنى عند حازم القرطاجني ومن سبقه من العلماء ، لما للمعنى من أهمية في تشكيل الخطاب الشعري وجماليته ، ولما له من مكانة وتأثير في النفوس، فهو يرشد الذوق الفني، ويكشف عما يتضمنه النص الأدبي من إمكانات وقدرات، وغالباً ما يكون المعنى غير مباشر ويحتاج من المتلقي نباهة وثقافة من أجل الوصول إلى القصد والغاية.وقد انقسمت هذه الدراسةإلى مبحثين: تناولت في المبحث الأول تعريف المعنى في اللغة والاصطلاح ومفهوم المعنى عند العلماء العرب ، وتناولت في المبحث الثاني مفهوم المعنى عند حازم القرطاجني وتقسيماته ودلالات المعنى عنده. وحاولنا في هذه الدراسة الإفادة من بعض المصادر والمراجع الأدبية والبلاغية فضلاً عن الاستعانة بدواوين الشعراء والدوريات والرسائل الجامعية. ومن الله التوفيق.

المبحث الأول:

- تعريف المعنى في اللغة
- تعريف المعنى في الاصطلاح
- مفهوم المعنى عند العلماء العرب

إن وضع تعريف جامع مانع للمعنى متفق عليه من قبل اللغويين من الأمور الصعبة التي لم تتحقق حتى الآن،فقد قال أولمان:" كُتِبَ في السنوات الأخيرة الكثير في تعريف معنى الكلمة، لكننا لم نقترب حتى الآن من جواب محدد وفي الحقيقة لا يوجد جواب واحد محدد عن مثل هذا السؤال" [١] .وليست دراسة المعنى مبحثاً حديثاً بل كان البحث فيه منذ القدم وبشكل واسع، فهذا الجاحظ قد أعطى للمعنى جانباً كبيراً حيث يقول:" ما في اللفظ لو لا المعنى؟ وهل الكلام إلا بمعناه" [٢] .كما جعل العلم بالمعنى أمراً مشتركاً، وسوّى فيه بين الخاصة والعامة فقال:" ورأيت الناس يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط إلا في رواية غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان"[٣] ، ويقول في موضع آخر:"ذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب في التصوير"[٤] .فحسن المعاني ليس في ذاتها وإنما في حسن أختيار الألفاظ المعبرة عنها وجودة تركيبها وضم بعضها إلى بعض بالطريقة التي تعبر عن المعاني وتؤدي الغرض والقصد.أما عبدالقاهر الجرجاني فتكلم عن المعنى بل وأسهب في الحديث عنه من خلال نظرية النظم، التي يمكن أن يقال إنها أصل علم المعاني إذ تعتمد على تعليق الكلام بعضه ببعض مع توخي معاني النحو. والنظم لابد له من أمرين اثنين، المعنى الذي نريد التعبير عنه، ثم اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى، فإذا اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه،فلابد أن يختلف اللفظ حتى إذا كانت مادته واحدة، فهناك إذا الصورة والمعنى الذي نعبر عنه بهذه الصورة.لأن الأصل في الكلام أن يؤتى به مساوياً

(١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث،علي زوين ،ص١٧٢.
(٢) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ١٣٠/٣.
(٣) المصدر السابق، ص١٣١.
(٤) المصدر السابق، ص١٣٤.

للمعنى الذي يدل عليه، دون أن تكون ألفاظه زائدة و ناقصة، أما القدرة على المطابقة التامة بين الجمل المنطوقة والمعاني المراد منها فهي من القدرات النادرة في المتكلمين من الناس[١] .

التعريف اللغوي للمعنى:

المعاني جمع معنى ، وهو في اللغة: المقصود،وهو ما يُقصد بشيء، ولا يطلقون المعنى على شيءٍ إلا إذا كان مقصوداً، وأما إذا فُهِمَ الشيء على سبيل التبعية فيسمى معنىً بالعرض لا بالذات [٢] ، ومعنى كل كلام ومعناته ومعنيته: مقصده،[٣] ، فالمفهوم اللغوي للمعنى إنه المقصود باللفظ، فالقصدُ شروط في اللفظ والمعنى .

التعريف الاصطلاحي للمعنى:

هي الصورة الذهنية إذا وقع بإزائها اللفظ من حيث إنها تقصد منه، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفرداً ، وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركباً [٤] . يرى الجاحظ(ت٢٥٥ هـ) ((أن أصناف الدلالات على المعاني خمسة أشياء،لا تنقص ولا تزيد: أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد أي (التكرار)، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبة. والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف... ولكل واحد من هذه الخمسة صورةٌ بائنةٌ من صورة صاحبتها... وهي التي تكشف عن أعيان المعنى في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغواً بهرجاً ، وساقطاً مطرحاً))[٥]. أي أن هناك خمسة أنواع أو طرق أساسية للدلالة على المعاني، سواء كانت لفظية أو غير لفظية، واللفظ أول الأنواع وهو أستخدام الكلمات والتعبيرات لإيصال المعنى، وهو الطريقة الأكثر شيوعاً للاتصال، أما الإشارة تكون بأستخدام الإيماءات والأفعال أو العلاقات اللفظية لإيصال المعنى، مثل توجيه الأصبع أو حركة الرأس أو أستخدام كلمات معينة للإشارة إلى شيء ما. أما العقد هو أستخدام الأمثلة أو المقارنات لإيصال المعنى. والخط هو بأستخدام الكتابة لإيصال المعنى سواء كانت رسائل أو خطابات أو كتب. والحال هي الدلالة

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس ، ص ٨٥ ، ٨٦ (
(٢) الكليات ، أبو البقاء الكفوي، ص٧٩٥(
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (عنا)،١٠٦/١٥ (
(٤) التعريفات، الشريف الرضي، ص١٩٢(
(٥) البيان والتبيين، الجاحظ ،٧٠/١ (

التي تظهر في حالة أو وضع معين، وتُفسر الحالة نفسها دون الحاجة إلى كلام أو إشارة. إنّ نظرية الجاحظ هذه تظهر أهمية التفريق بين مختلف أنواع الدلالة على المعاني وتساهم في فهم أعمق للبيان والبلاغة في اللغة العربية.فالألفاظ عند الجاحظ هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة.ويُعد المعنى عند قدامة بن جعفر (ت٣٧٧هـ) أحد العناصر الأساسية التي تُشكل الشعر ، ويُعتبر من أهم ركائز الجودة والجمال فيه، بالإضافة إلى اللفظ، والوزن، والقافية[١]) . وأنّ جودة المعنى تؤثر في جودة الشعر بشكل عام، فالشعر الجيد هو الذي يتميز بوضوح المعنى ودقته. فالمعنى الدقيق والواضح في الشعر يدل على قدرة الشاعر على التعبير والتفكير العميق، ويُشبّه قدامة المعنى بالمادة والشعر بالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة [٢]. إذ يعتبر المعنى في الشعر مادة أساسية ن وقيمته تتحدد من خلال الصورة التي تبرز فيها. وقد قسم المعنى إلى تقسيمات عدة ،منها:صحة التقسيم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير.أما صحة التقسيم فهي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها، ولا يغادر قسماً منها [٣]، كقول الشاعر الأسعر بن حُمران الجُعْفيّ:

أمّا إذا استقبلتهُ فكأنه
بازٌ يُكفكفُ أنْ يطيرَ وقد رأى
أما إذا استدبرتهُ فتسوقُهُ
ساقٌ قموصُ الوقعِ عاريةُ النّسَا
أما إذا استعرضتهُ مُتمطراً فتقول هذا مِثْلُ سِرحانِ الغَضَا [٤]

فلم يدع هذا الشاعر قسماً من أقسام النّصْبة، التي ترى في الفرس، إذا رُئي عليها ، إلا أتى به . والشاعر في هذه الأبيات لا يدعُ شيئاً فيما يصفه إلا ذكره، فهو يصف الجهات التي يراها الأنسان من الفرس إذا كان على بسيط الأرض [٥] .وتتحقق صحة المعنى من خلال صحة

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص٢٥ (
(٢) نقد الشعر، قدمة بن جعفر، ص١٩ (
(٣) نقد الشعر، ص ١٣٢(
(٤) ورد الشاهد في نقد الشعر، لقدامة بن جعفر ، ص١٣٢ ، ولم أجد الشاهد في معجم شواهد العربية (
(٥) نقد الشعر، ص ١٣٢(

المقابلات وهي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف، على الصحة [١]، كقول بعضهم:

فواعجبا كيف اتّفَقْنا فناصِحٌ
وفيٌّ ،ومطويٌّ على الغِلّ غَادِرُ[٢]

في هذا البيت نجد الشاعر قد جاء بكل صفة وما يقبلها أو ضدها فلفظة (ناصح) قبلها (مطوى على الغل) وضد (وفي) (غادر) .أما صحة التفسير ، وهي أن ((يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ماأتى به منها ولا يزيد أو ينقص[٣] ، كقول الفرزدق:

لقدْ خُنْتَ قَوْماً لو لجأتَ إليهِم
طريدَ دمٍ ، أوْ حامِلاً ثِقْلَ مَغْرَمِ[٤]

ولأنّ هذا البيت يحتاج إلى تفسير ،قال:

لألَفَيْتَ فيهمْ مُطعِماً ومُطاعناً
وراءك شَزْراً بالوشيجِ المُقوّمِ

ففسر قوله : (حاملاً ثقل مغرم) بانه يُلقى فيهم من يعطيه ، وفسر قوله :(طريد دمٍ) بقوله: ((إنه يُلقى فيهم من يطاعن دونه ويحميه) [٥]. لقد اضفى هذا التفسير جمالاً على المعنى المتكامل في هذين البيتين، فهناك تكامل في المشاعر النفسية للشاعر، وهو تكامل تفرضه وحدة المشاعر الذاتية لدى الشاعر.أما صحة التتميم عند قدامة فهو (أن يذكر الشاعر المعنى، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به))[٦]، كقول ذي الرمة:

ألا ياآسْلَمي يادارَ ميّ على البِلى
ولا زالَ مُنهَلاً بجرْعائكِ القَطْرُ[٧]

(١) نقد الشعر، ص١٣٣ (
(٢) ينظر: نقد الشعر ،ص١٣٣(
(٣) نقد الشعر،ص ١٣٥(
(٤) ديوان الفرزدق، ص٥١٩(
(٥) نقد الشعر،ص ١٣٦ (
(٦) نقد الشعر، ص ١٣٧(
(٧) ديوان ذي الرمة ، ص٢٠٢ (

لقد عاب قدامة هذا البيت لأنّ الشاعر لم يكمل جودة المعنى فيه، لأنه نسب قوله هذا إلى أن فيه إفساداً للدار التي دعا لها، وهو أنْ تغرق بكثرة المطر، إلا أنّ الناظر إلى الجانب الفني في هذا البيت يرى أن هذا المعنى في البيت غاية في الجمال، وإنّ دعاء الشاعر على الدار بأن ينهل بجرعائها القطر ، تحمل دلالات نفسية لها تأثير في نفوس المتلقين.مغايرة لما ذهب إليه قدامة . ونجد أن أبا هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) أحال المعنى إلى البلاغة ، فالبلاغة سميت بذلك لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه [١]، وقد ربط الفصاحة والبلاغة بأنهما ترجعان إلى معنى واحد، وإنْ اختلف أصل كل منهما ، لأنهما أي الفصاحة والبلاغة الإبانة عن المعنى والإظهار له، فالفصاحة تتعلق باللفظ باعتبارها تمام آلة البيان، والبلاغة تتعلق بالمعنى باعتبارها إنهاء المعنى إلى القلب[٢]) . إذن يرى أبو هلال العسكري إن الغاية من البلاغة هي جعل المعنى يصل إلى قلب السامع ويفهمه بوضوح ويتأثر به.وقد قسم العسكري المعاني إلى أربعة أقسام وذلك في قوله:((والمعاني بعد ذلك على وجوه: منها ماهو مستقيمٌ حسن، نحو قولك:قد رأيتُ زيداً، ومنها ما هو مستقيمٌ قبيح، نحو قولك: قد زيداً رأيت،وإنما قبُحَ لأنك أفسدتَ النظام بالتقديم والتأخير، ومنها ما هو مستقيم النظم،وهو كذبٌ، مثل قولك: حملتُ الجبل وشربتُ ماء البحر، ومنها ما هو محالٌ ، كقولك آتيك أمس واتيتك غداً)) [٣] .نجد أن المثال الأول في قوله:قد رأيتُ زيداً ، تجلت استقامة المعنى في هذا المثال في البنية الشكلية أو الظاهرة ، المتوافقة مع قواعد النحو وشروط النظم، ولا يوجد أضطراب أو خرق في البنية الداخلية .أما في المثال الثاني في قوله: قد زيداً رأيتُ فالخرق والعيب واضح وهو مخالفة قواعد النحو واضطراب النظم ومنه انعكس إلى المعنى فأفسده. أما المثال الثالث في قوله: حملت الجبل وشربت ماء البحر قد جاء المعنى سليم التركيب لكن الدلالة غير صحيحة، وهو هنا خرق معيار الصدق. والمثال الأخير في قوله: آتيك أمس واتيتك غداً ، في هذا المثال نجد التنافر والخلل، والخرق يظهر على مستوى البنية الدلالية للجملة، وذلك في عدم وجود علاقة منطقية بين الفعل الماضي والظرف الاستقبالي .وجعل العسكري للمعاني سمات ينبغي أن تتوفر فيه، وهي سمة الصدق ومراعاة القصد، أو غرض المتكلم، وأشار إلى ذلك بقوله:((ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذباً

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري ، ص١٢ (
(٢) كتاب الصناعتين، ص ١٤(
(٣) المصدر السابق، ص ٧٦ (

محالاً ، وهو قولك: رأيتُ قائماً قاعداً، ومررتُ بيقظان نائم، فتصل كذباً بمحال، فصار الذي هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما، وإن كان لكل واحد منهما معنى على حياله، وذلك لمّا عقد بعضها ببعض حتى صارا كلاماً واحداً ، ومنها الغلط،وهو أن تقول:ضربني زيد وأنت تريد ضربتُ زيداً، فغلطت، فإن تعمدت ذلك كان كذباً)) [١] . ويتحدث ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) عن التناسب في المعاني، إذ ذكر أنّ الكلام قد يغمض على المتلقي من جهة المعاني، لذلك فهو يشترط صفات أو أوصاف للمعاني إذا ما توافرت في المعنى أصبح واضحاً ومفهوماً وله تأثير في نفوس المتلقين، منها: ((الصحة، والكمال، والمبالغة، والتحرز مما يوجب الطعن، والاستدلال بالتمثيل والتعليل)) [٢]. وإن من الصحة صحة التقسيم، والأوصاف، ولأغراض، والمقابلة، والنسق، وحسن التخلص.ومن أمثلة الصحة في التقسيم وهو أن تكون الأقسام المذكورة لم يخلّ بشيء منها ولا تكررت ولا دخل بعضها تحت بعض، كقول نُصْيب:

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم.

وفريق: ليمن الله لا ندري [٣]

في هذا البيت نجد أن المعنى تام، لأنه تضمن كل الاحتمالات في الإجابة. ومن الصحة صحة الأوصاف في الأغراض ، وهو أن يمدح الإنسان بما يليق به ولا ينفر عنه...وكذلك في كل غرض من الأغراض الشعرية...حتى يكون كل شيء موضوعاً في المكان الذي يليق به[٤]، لذلك عيب أبو عبادة في مديحه الخليفة لقوله: لا العَذْلُ يَرْدَعُهُ ولا الـ *** ـتَعنِيفُ عن كَرَمٍ يَصُدُّهْ [٥]

وقيل: من هو الذي يجسر على عذل الخليف وتعنيفه، وليس هذا المدح مما يصلح للملوك والأمراء فضلاً عن الأئمة والخلفاء[٦].ومن الصحة صحة المقابلة في المعاني، وهو أن يضع مؤلف الكلام معاني يريد التوفيق بين بعضها ...فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٧٦(
(٢) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي، ص ٢٣٥(
(٣) ديوان نصيب بن رباح ، ص ٩٤ (
(٤) سر الفصاحة ، ص ٢٥٦ (
(٥) ديوان البحتري ، ص ٦١٤(
(٦) سر الفصاحة ،ص ٢٥٧ (

يخالف على الصحة، والأصل في هذه المناسبة فإن لها تأثيراً قوياً في الحسن [١] ، ومن أمثلة ذلك، قول الشاعر:

جزى الله خيراً ذات بعل تصدقتْ على عزبٍ حتى يكون له أهلُ

فإنا سنجزيها بمثل فعَالها *** إذا ما تزوجنا وليس لها بعلُ [٢]

وهذه مقابلة صحيحة ،لأنه جعل في مقابلة ان تكون المرأة ذات بعلٍ وهو لا زوج له أن يكون ذا زوج وهي لا بعل لها، وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزبة[٣].وأما كمال المعنى ، فهو أن تستوفى الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل جودته، كقول نافع بن خليفة الغنوي:

رجالٌ إذا لم يُقبل الحقُ منهم ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب[٤]

في هذا البيت تمم الشاعر المعنى بقوله ــ ويعطوه ــ لأنه لو اقتصر على قوله ــ إذا لم يُقبل الحقُ منهم عاذوا بالسيوف ـ كان المعنى ناقصاً . ومن الصحة صحة النسق ، وهو أن يستمر في المعنى الواحد وإذا أراد أن يستأنف معنىً آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول غير منقطع عنه، ومن هذا الباب خروج الشعراء من النسيب إلى المدح، فإن المحدثين أجادوا التخلص حتى صار كلامهم في النسيب متعلقاً بكلامهم في المدح لا ينقطع[٥] ...ومما يستحسن خروج المحدثين ،قول البحتري يصف الروض:

شَقَائقُ يَحْمِلْنَ النّدى فكأنّهُ دُمُوعُ التّصابي في خُدود الخرَائدِ

كأنّ يدَ ((الفتح بِن خاقانَ)) أقبلَتْ تَلِيها بتِلْك البارِقَاتِ الرّواعِدِ[٦]

في هذا البيت أحسن الشاعر في التخلص من غرض النسيب إلى المدح . واما المبالغة في المعنى والغلو ، فإن الناس مختلفون في حمد الغلو وذمه، فمنهم من يختاره، ويقول: أحسن الشعر أكذبه، ويستدل بقول النابغة وقد سُئِل من أشعر الناس ؟ فقال : من استُنجد كذبه، وأضحك رديئه ... ومنهم من يكره الغلو والمبالغة التي تخرج إلى الإحالة، ويختار ما قارب

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٧(

(٢) لم أجد له ديوان، ينظر: سر الفصاحة ،ص٢٥٧(

(٣) سر الفصاحة، ص ٢٦٧ (

(٤) لم أجد له ديوان، ينظر : سرالفصاحة ، ص٢٦٧ (

(٥) سر الفصاحة، ص ٢٦٨ (

(٦) ديوان البحتري، ٦٢٣/٢ (

الحقيقة ودانى الصحة [١] ، كقول أبي نواس:

وأخفت أهل الشركِ حتى إنه لتخافُك النُطفُ التي لم تُخلقِ [٢]

لما في ذلك من الغلو والإفراط الخارج عن الحقيقة، ففي هذا البيت مهما بلغت شجاعة الممدوح، فلن تصل إلى الحد الذي تخشاه النُطف، وهذا وصف لا ينطبق إلا على الذات الإلهية [٣] .وأما التحرز مما يوجب الطعن فغن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن ، فيأتي مما يتحرز به من ذلك، كقول طرفة:

فَسَقى بِلادَكَ غَيْرَ مُفْسدِهِا صَوْبُ الرّبيعِ وَدِيمةٌ تَهْمِى[٤]

فلو لم يقل (غير مفسدها) لظن به إنه يريد توالي المطر عليها، وفي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها. وأما الاستدلال بالتمثيل ، فأن يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له، كقول أبي العلاء:

لو اخْتَصَرْتم من الإحسانِ زُرْتُكمُ والعذَبُ يُهْجَر للإفراط في الخَصَرْ [٥]

في هذا البيت نجد أن الزيادة كانت سبباً للإمتناع منه، بتمثيل الماء الذي لا يُشرب لفرط برودته ، وإن كان البرد فيه مطلوباً محموداً .وأما الاستدلال بالتعليل ، فكقول أبي الحسن التهامي:

لو لم تكن ريقتهُ خمرةٌ لما تثنى عِطفه وهو صاحْ [٦]

لقد عرّف عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) المعنى بأنه "المعنى الظاهر" " ومعنى المعنى". المعنى الظاهر هو المفهوم من اللفظ، أي المعنى المباشر الذي نفهمه بمجرد سماعه أو قراءته ، وفي ذلك يقول: ((الكلام على ضربين: ضربٌ انت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،والذي تصل إليه من غير واسطة، مثل ((خرج زيد))... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدُلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعهُ في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة

(١) سر الفصاحة، ص ٢٧١(
(٢) ديوان أبي نواس ، ص ٣٢٤ (
(٣) سر الفصاحة ، ص ٢٧٢(
(٤) ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٠٤(
(٥) سقط الزند، أبو العلاء المعري ، ص٥٦ (
(٦) ديوان أبي الحسن التهامي، ص ١٥١(

والتمثيل، مثل "نؤوم الضحى"))[1] ، ومعنى المعنى هو الذي يُفهم من خلال المعنى الظاهر، ويتجاوزه ليصل إلى غرض أبعد في الكلام . بمعنى آخر، المعنى هو ما يفهمه السمع من اللفظ مباشرة ، بينما "معنى المعنى" هو المعنى الذي يفضي إليه المعنى الظاهر ، ويوصلنا إلى الغرض المقصود من الكلام . ويرى ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) أن المعنى يكمن في قدرة الكاتب أو الشاعر على صياغة الألفاظ بأسلوب رفيع ومؤثر، بحيث ينقل المعنى المقصود بوضوح ودقة مع إضفاء جمالية خاصة عليه. كما يرى ان فهم المعنى يتطلب مهارة في تحليل الألفاظ والتراكيب واستيعاب السياقات المختلفة التي تستخدم فيها، وفي ذلك يقول: ((والأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل))[2] ،كقوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المُدثر:٤]، فالظاهر من لفظ (الثياب) هو ما يلبس، ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب ، لا الملبوس، وهذا لابد له من دليل،لأنه عدول عن ظاهر اللفظ . ويجب معرفة المعنى الأصلي لكل لفظ يراد تأويله ولهذا يحمل على ظاهره ثم يؤول بدليل أي قرينة توضح المعنى.

المبحث الثاني: دلالة المعنى عند حازم القرطاجني

يرى حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) أن المعاني هي صور ذهنية لصور عينية موجودة ومدركة، "فالمعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء، الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظُ المعبرُ به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا أحتيج إلى وضع رسوم الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الألفاظ هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضاً وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها "[3] . فقد ربط بين المعاني باعتبارها صوراً ذهنية، وبين الأشياء المدركة من الخارج بواسطة الحس، لأن وجود الأولى مرتبط بالثانية، فالصورة الذهنية المتشكلة في الفكر هي الرابط بين اللفظ والشيء الخارجي الحقيقي،وهي الفكرة المتولدة عن

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص ٢٦٢(
(٢) المثل السائر، ابن الأثير ، ٦٣/١(
(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، ص ١٨، ١٩ (

الظاهر المرئي والمعبر عنه بالصورة اللفظيةالخارجية أو الصادرة أو المنعكسة عن الفكرة [١]. إن مدار الحديث عن المعاني الشعرية وبواعثها قائم على ركيزتين:قصد الملقي (المبدع) وحال المتلقي (السامع أو القارئ)،وفي ضوء ذلك تجري التقسيمات ف "تقوم أسس التفريعات الحادثة بين المعاني على مبادئ متنوعة محكومة بقاعدة منطقية، وبأساس من التخاطب" [٢] . ولما كانت المعاني الشعرية تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس، "لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها"[٣].ولما كان التأثير يمثل العامل الحاسم في تحديد المعاني التي يجب أن تستخدم في الشعر ،فقد قسم القرطاجني المعاني إلى أقسام عدة، منها: المعاني الحسية والمعاني الذهنية، وربط بين المعنى والمدرك الحسي، (فالمعاني الحسية) هي "أن يكون لكل معنى من المعاني معنىً يناسبه أو يقاربه ومعنىً أو معانٍ تضاده وتخالفه، ومن المعاني المناسبة التشبيه ، بأن تكون المناسبة باشتراك الشيئين في الكيفية ، وإذا أردت أن تقارن بين المعاني وتجعل بعضها بإزاء بعض وتناظر بينها ...فيكون له في كليهما فائدة، فتناظر بين موقع المعنى في هذا الحيز وموقعه في الحيز الآخر فيكون من اقتران التماثل،أو فيه اقتران المعنى بما يضاده فيكون مقابلة أو مطابقة..."[٤] ،كقول الشاعر:

فليعجبِ الناسُ مني أنّ لي بدناً *** لا روحَ فيه ولي روحٌ بلا بدنِ [٥]

في هذا البيت قابل الشاعر بين بدن وروح، والمعنى يزداد حسناً كلما كان هناك زيادة تقابل، ومن المعاني المناسبة التشبيه ، نحو قول حبيب بن أوس الطائي:

دِمنٌ طالما التقتْ أدْمُع المُزْ نِ عليها وأدْمُعُ العُشَاقِ [٦]

في هذا البيت يصف الشاعر المكان (دمن) وهي الأرض التي تغير لونها بفعل الأمطار وتقلبات الزمن ولم يبق فيها إلا أثر الراحلين، والتي طالما التقت على هذه الأرض قطرات المطر التي شبهها بدموع الأحبة للدلالة على حزن الطبيعة وتأثرها بالفراق ، فالبيت يوحي بأن هذا المكان قد شهد الكثير من الحزن والفراق، سواء من خلال الطبيعة التي تتأثر بالأمطار الغزيرة، اومن خلال العشاق

(١) اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي، مها خير بك ناصر ، ص ١٠١ ،مجلة التراث العربي(
(٢) اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، الأخضر الجمعي،ص٢٤٤،منشورات اتحاد الكتاب العرب (
(٣) منهاج البلغاء ، ص١١(
(٤) منهاج البلغاء،ص ١٤ ،١٥(
(٥) لم اجد ديوان الشاعر، ينظر :منهاج البلغاء، ص ٤٥(
(٦) ديوان أبي تمام ،ص ٤٤٧ (

الذين ذرفوا الدموع بسبب مشاعرهم ،فالمكان ليس مجرد حيز مادي، بل هو مكان تتجسد فيه الأحاسيس والمشاعر،

لكنه في الوقت ذاته تحدث عن بعض المعاني التي ليس لها وجود خارج الذهن وهي (المعاني الذهنية) "وهي أمور ذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالة عليها، والتقاذف بها إلى جهات من الترتيب والإسناد، ...لأن الذي خارج الذهن هو ثبوت نسبة شيء إلى شيء أو كون الشيء لا نسبة له إلى الشيء.فأما أن يقدم عليه ، أو يؤخر عنه، أو يتصرف في العبارة عنه نحواً من هذه التصاريف، فأمور ليس وجودها إلاّ في الذهن خاصة"[١]) .فالمعاني الذهنية أشبه بالأشكال الإبداعية المخزونة في الذهن فهي مرتبطة بمعطيات خارجية ، وعلى صلة بمعطيات لغوية، كالتركيب بين عناصر الجملة، والمسائل النحوية الآخرى، فرؤيتنا للواقع لا تتطابق بالضرورة مع الأشياء الموجودة فيه، بل تستند إلى الذهن وما يمدنا به من معارف. ولما كان التأثير يمثل العامل الحاسم في تحديد المعاني التي يجب أن تستخدم في الشعر[٢]، فقد قسم حازم القرطاجني المعاني من حيث أصالتها ،إلى معاني أصيلة ومعاني دخيلة، فالمعاني الأصيلة هي المعاني المتداولة(أغراض مألوفة)، والأكثر شهرة، وهي التي أطلق عليها القرطاجني (المعاني الجمهورية) وهي التي يبنى عليها العمل الشعري وهي عماده لكونها على درجة من الفصاحة،أما (المعاني الدخيلة) لا تأتي إلا تابعة لغيرها أي من اللواحق فلا يمكن أن يبنى منها أو عليها قولاً شعرياً فصيحاً فقد اعتبرها دخيلة، وكأنما زُج بها في غير مكانها.وبذلك "فالأصيل في الأغراض المألوفة في الشعر من هذين الصنفين ما صلح أن يقع فيها أولاً وثانياً، متبوعاً وتابعاً ،لأن هذا يدل على شدة أنتسابه إلى طرق الشعر وحسن موقعه منها على كل حال، وهي المعاني الجمهورية، ولا يمكن أن يتكون كلام بديع عال في الفصاحة إلا منها، والصنف الآخر وهو الذي سميناه الدخيل لا يأتلف منه كلام عال في البلاغة أصلاً ، إذ من شروط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجمهور، وذلك غير موجود في هذا الصنف من المعاني"[٣] ، أما المعاني الدخيلة وهي "المعاني التي إنما يكون وجودها بتعلم وتكسّب ،

(١) منهاج البلغاء ، ص ١٥ ، ١٦ (
(٢) المتلقي عند حازم القرطاجني، زياد صالح الزعبي، ص٣٤٩ ،مجلة الجامعة الإسلامية، كليةالآداب، جامعة اليرموك، مج٩، ع١.
(٣) منهاج البلغاء، ص ٢٤ ،٢٥(

كالأغراض التي لا تقع إلا في العلوم والصناعات والمهن. فالمعاني المتعلقة بهذه الطرق الخاصة ببعض الجماهير لا تحسن في المقاصد العامة المألوفة التي ينحى ما يستطيبه الجمهور أو يتأثرون له بالجملة" (١) ، ويطلق عليها القرطاجني (بالمعاني العلمية والصناعية) ،وهذه المعاني يمتنع إيرادها في الشعر ، اما المعاني الجمهورية فيحسن إيرادها في الأغراض الشعرية ، ويستحسن المعاني الجمهورية ويدرجها في بناء القول الشعري، لكنه يستثني منها بعض المعاني التي ورغم اشتهارها وتداولها بين عامة الجمهور ،لأنها لا تصلح لأن تكون موضوعاً للشعر وفي ذلك يقول القرطاجني:" وأعلم أن من المعاني المعروفة عند الجمهور ما لا يحسن إيراده في الشعر ،وذلك نحو المعاني المتعلقة بصنائع أهل المهن لضعتها ، فإن غالب عباراتهم لا يحسن أن تستعار ويعبّر بها عن معان تشبهها لأنها مزيلة لطلاوة الكلام وحسن موقعه من النفس.ومن المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور ما يستحسن إيراده في الشعر، وذلك إذا كان مما فطرت النفوس على الحنين إليه أو التألم منه "(٢) . فمعاني أهل المهن هي غير مناسبة للشعر على الرغم من تداولها ومعرفة الجمهور لها، لأن الألفاظ المستعملة في القول الشعري لا تجد لها علاقة بالنفس المتلقية، أما تفضيله للمعاني الجمهورية لأنها تقترب من قلوب الناس ، وتلامس حياتهم وتلائم أحوال نفوسهم المختلفة ، فالمعاني الدخيلة عند حازم غير مستحسنة ويكاد ينفي صفة الشعر عن هذا النوع من المعاني، لكونها دخيلة على اللغة الأدبية ومصدرها التعلم والتكسب، لا الفطرة على نحو الأغراض التي لا تكون إلا في المهن والصناعات التي تختص بفئة من الناس، فهي تفتقر إلى أستحسان الجمهور وتأثره بها، فضلاً عن خلوها من شروط البلاغة التي تجعل للشعر حسن موقع في النفوس.وتقسم المعاني عند حازم القرطاجني إلى معاني كاملة ومعاني ناقصة، فالمعاني الكاملة هي "التي تنتظم فيها العبارات وتستوفي جميع أركانها ومتمماتها حتى لا يقع فيها نقص ولا تداخل" (٣) ،ومن أمثلة المعاني التامة والصحيحة قول الشماخ:

مَتَى ما تقعْ أرْساغُة مُطْمئِنةً على حَجَرٍ يرفضُ أوْ يتدَحْرجِ (٤)

(١) المصدر السابق، ص ٢٢ ،٢٣(
(٢) المصدر السابق، ص٢٨ ،٢٩(
(٣) منهاج البلغاء، ص ١٥٤ (
(٤) ديوان الشماخ ، ص ٩٢(

وذلك لأن الحجر إذا كان رخواً ارفضّ، وإن كان صلباً تدحرج،وليس لقائل أن يقول: إذا كانت الأرض رخوة فيسوخ الحجر فيها، فإنّ الأرض إذا كانت بهذه الصفة لم يقع الحافر عليها وقوع اطمئنان واعتماد، فبقوله مطمئنة صحّت القسمة وكملت(١). ومن المعاني التي وقعت قسمتها ناقصة ، قول جرير:

صَارَتْ حَنيفةُ أثلاثاً : فَثُلُثُهُمُ من العبيدِ ،وثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهاَ (٢)

في هذا البيت نجد أن قسمة المعاني جاءت ناقصة ، وقد قيل: إن بعض بني حنيفة سُئِل: من أي الأثلاث هو من بيت جرير؟ فقال: من الثلث الملغي(٣) . وقد قسم حازم القرطاجني دلالات المعاني إلى ثلاثة أضرب وهي:دلالة إيضاح، ودلالة إبهام، ودلالة إيضاح وإبهام معاً (٤)،ويقصد بدلالة الإيضاح ،المعاني التي تتجلى وضوحاً في الألفاظ والعبارات ،بحيث لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير إضافي لفهمها. وهي المعاني التي تأتي مباشرة وواضحة ولا تترك مجالاً للغموض أو الالتباس. "ويكون المعنى في نفسه دقيقاً لطيفاً يحتاج إلى تأمل وتفهّم فيجب في ما كان بهذه الصفة أن يجهد في تسهيل العبارة المؤدية إلى المعنى وبسطها ...فإذا اجتهد الشاعر في توفية العبارة حقها من البيان وقصد بها الإيضاح غاية ما يستطيع فقد أزال عن نفسه اللوم في ذلك ونفى عنها التقصير..." (٥) ،أما الدلالة الثانية على المعاني وهي دلالة الإبهام ، فقد ذكر القرطاجني أوجه عدة لغموض المعنى وإبهامه،بعضها يرجع إلى المعاني نفسها ، وبعضها يرجع إلى الألفاظ،وبعضها يرجع إلى المعاني والألفاظ معاً "ووجوه الإغماض في المعاني، منها ما يرجع إلى المعاني أنفسها ،ومنها ما يرجع إلى الألفاظ، ومنها مايرجع إلى المعاني والألفاظ معاً"(٦). وقد ذكر القرطاجني وجوه الغموض في المعنى والتي تعود إلى المعنى ذاته ، وهي كالتالي(٧):

_أن يكون المعنى في نفسه بعيد الغور والفهم أو دقيقاً .

(١) منهاج البلغاء، ص ١٥٥(
(٢) ديوان جرير ، ص ٤٩٨(
(٣) منهاج البلغاء:ص ١٥٦ (
(٤) المصدر السابق، ص١٧٢(
(٥) منهاج البلغاء، ص١٧٨(
(٦) المصدر السابق، ص ١٧٢(
(٧) المصدر السابق، ص١٧٣(

_أن يكون المعنى مبنياً على مقدمة في الكلام قد صرف الفهم عن إلتفاتها بعد حيزها ما بني عليها، أو تشاغله بمستأنف الكلام عن فارطه.

-أن يكون مضمناً معنىً علمياً أو خبراً تأريخياً أو محالاً به على ذلك ومشاراً به إليه.

-أن يكون المعنى مضمناً إشارة إلى مثل بيت أو كلام سالف بالجملة يجعل بعض ذلك المثل أوالبيت جزءاً من أجزاء المعنى أو غير ذلك من أنحاء التضمين.

-أن يكون المعنى قد قصد به الدلالة على بعض ما يلزم من المعاني ويكون منه بسبب على جهة الإرداف أو الكناية به عنه، أو التلويح إليه أو غير ذلك.

_أن يكون المعنى قد وضعت صور التركيب الذهني في أجزائه على غير ما يجب فتنكره الأفهام لذلك.

-أن يكون بعض ما يشتمل عليه المعنى مظنة لإنصراف الخواطر في فهمه إلى أنحاء من الإحتمالات .

-أو يكون المعنى قد اقتصر في تعريف بعض أجزائه أو تخييلها على الإشارة إليه بأوصاف تشترك فيها معه أشياء غير أنها لا توجد مجتمعة إلا فيه. أما القسم الثاني من الدلالات على المعاني، فهي دلالة الإبهام التي تعود إلى الألفاظ والعبارات، وهو:

_أن يكون اللفظ حوشياً أو غريباً أو مشتركاً فيعرض من ذلك ألاّ يعلم ما يدلّ عليه اللفظ .

_أن يعرض في تركيب اللفظ إشتباه يصير به بمنزلة اللفظ المشترك. كما في قول امرئ القيس:

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلوجةٍ كركَ لأميْن على نابِلِ [1]

إن قدرة الشاعر التخييلية جعلته قادراً على الربط بين الطعن والرمي بالنبل،فالطعن بالسيف يليه مباشرة سرعة سلّه لتتواصل العملية، وهو أشبه بترديد القائد لرماة النبل من جنده(إرم، إرم) دون ترك فاصل زمني بين الأمرين، وقد ربط خياله بين الطعن وسل السيف بأدخال الخيط في حبات الخرز لتشكيل العقد[2] . _وقد يكون السبب في غموض الألفاظ التقديم والتأخير في الكلام، لأن تحديد المعنى مرتبط بالعلاقة بين المسند والمسند إليه، "ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير، أو يتخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوباً، أو يقع بين بعض العبارة وما يرجع إليها

(١) ديوان امرئ القيس ،ص١٣٤ (

(٢) الخيال والتخييل عند حازم القرطاجني بين النظرية والتطبيق، رشيدة كلاع، ص ٧٢، رسالة ماجستير ،جامعة منتوري ،٢٠٠٥)

فصل بقافية أو سجع فتخفى جهة التطالب بين الكلامين،أو بأن تفرط العبارة في الطول فيتراخى بعض أجزائها عما يسند إليه ...ومما يبعد به الشيء عمّا ستند إليه الصلات والاعتراضات... ومن ذلك فرط الإيجاز بقصر أو حذف" (١) .إذن من أسباب غموض المعنى إحداث تغيير في نظم وترتيب عناصر الجملة أو إيقاع الوصل والفصل في غير موضعهما المناسب، لذا كان الحرص على حسن إنتقاء اللفظ ونظمه، وتأليفه مع غيره، أمراً يشكل حجر الزاوية في الإبانة عن المعنى المقصود.ومن المآخذ على حازم القرطاجني أنه لا يوضح لهذه الأوجه بالأمثلة ، وإنما يكتفي بالشرح والتوضيح لها ، وهذا هو الجانب النظري الذي انتهجه القرطاجني في مصنفه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) مع القلة القليلة من الأمثلة في الجانب التطبيقي.أما ما يرجع إلى غموض اللفظ والمعنى معاً ،فيقول حازم القرطاجني في ذلك : " كل معنى غامض وعبارة مستغلقة، فغموضه وإستغلاق عباراته راجعان إلى بعض هذه الوجوه المعنوية أو العبارية، أو إليهما معاً، أو إلى ما ناسبهما وجرى مجراهما مما لعلنا لم نذكره من وجوه الإغماض الراجعة إلى معنى أو عبارة "(٢) .فالمعنى في ذاته غامضاً وبدلاً من أن يوضحه اللفظ، يكون اللفظ أيضاً غامضاً ،فإن عدم تناسب اللفظ مع المعنى قد يزيد من إشكاله وغموضه.إن غموض المعنى في المواضع التي يراد فيها التصريح سواء أرجع مصدر الغموض إلى اللفظ أم إلى المعنى وجب عليه تجنبها، والابتعاد عنها، " فليجهد في ما يرفع الإبهام أو اللبس الواقع بذلك من القرائن المخلصة للكلام إلى ما نحي به نحوه فإن ورود المعنى غامضاً في كلام قد قصد به الإبانة مما يوعر سبيله ويزيله عن الاعتدال والإستواء مع مناقضته للمقصد" (٣) . إن غموض المعنى سواء أكان عائداً للفظ أم إلى المعنى، أم إلى كليهما فإن ذلك يتسبب في الخروج عن الموضوع الذي يقصده المبدع، وعدم تحقيق التأثير في نفوس السامعين لأنه سيؤدي إلى عدم وضوح المعنى المراد . لذا كان تحري الموضوع أمراً ملحاً إذا أراد المبدع النجاح في هدفه. وقد اقترح القرطاجني عدة أساليب التي يمكن ان يلجأ إليها الشاعر لإزالة إبهام وغموض المعنى ،منها:

_أن يعوض اللفظ الذي وقع فيه الغموض بآخر يكون أكثر وضوحاً وإبانة، أو أن يتبع بآخر يكون بمثابة المفسر له حيث أن"الإعتياض في المعاني يكون بأخذ مماثلاتها مما يكون في

(١) منهاج البلغاء، ص ١٧٤ (
(٢) المصدر السابق، ص ١٧٤(
(٣) منهاج البلغاء ، ص١٧٥(

معناه أوضح منها،والإعتياض في الألفاظ يكون بما يماثلها من جهة الدلالة. وقد يكون العوض والمعوّض منه مع ذلك مخالفة في الوضع مثل وصل المنفصل، وفصل المتّصل، وإطالة القصير وتقصير الطويل وقد لا يكون ذلك»[١] .لذا ينبغي ملاءمة اللفظ المعوّض به للمعوّض، ومشاركته له في بعض الميزات والخصائص حتى يمكنه الإبانة عن الأشياء المبهمة. كما أن إتباع المعنى الأول بمعنى ثاني أكثر منه وضوحاً، من شأنه إزالة اللبس، وذلك لما تتمتع به من قدرة إيحائية.

_أما إذا كان السبب في الغموض راجع إلى دقة المعنى ذاته، وكان فهمه يحتاج إلى كثير من الدقة والتمعن، فإن ذلك يتطلب من الشاعر إنتقاء الألفاظ البسيطة المعبرة التي يمكنها التغطية على غموض المعنى، فتفصح عما كان مبهماً لأن «ما كان بهذه الصفة أن يجهد في تسهيل العبارة المؤدية عن المعنى، وبسطها حتى يقابل خفاؤه بوضوحها، وغموضه ببيانها...أزال عن نفسه اللوم في ذلك ونفى عنها التقصير، ووجب عذره في خفاء المعنى إذ لا يمكن أن يصيّره في نفسه جلياً»[٢] . فدقة المعنى تستوجب من الشاعر السعي الحثيث إلى توظيف العبارة الواضحة، حتى يمكنها إزالة ما يكتنف المعنى من إشكال، أما إذا لم تستطع العبارة توضيح المعنى بصورة جلية ،فإنه يعمد إلى أن يقرن المعنى الغامض بآخر جلي، فإن هذه المجاورة بإمكانها أن تدل عليه ، وتزيل أي لبس عنه.

_وقد يكون السبب في غموض المعنى، الإخلال بركن أو بعض أركان المعنى فيجيء المعنى ناقصاً،إما لأن الشاعر يجهل هذا الركن، أو غفل عنه أو أن تضطره القافية والوزن إلى إسقاط هذا الركن، فينتج عن ذلك غموض في المعنى السبب فيه راجع للعبارة ،في هذه الحالة يمكن للشاعر _ رأي القرطاجني _ مواصلة توضيح المعنى في الأبيات التالية للبيت الذي يحيطه الغموض «و لايزال ذو المعرفة بتصاريف الكلام والدربة بتأليف النظام يضع اللفظة موضع اللفظة ويبدل صيغة مكان صيغة حتى يتأتى له مراده وينال من كمال المعنى بغيته»[٣] .إن ترابط أبيات القصيدة وإنسجامها يكشف عن مقصد الشاعر،فإذا رأى الشاعر أن المعنى لم يتضح بالصورة المتوخاة في هذا البيت فغن ربطه بغيره من شأنه الكشف عن ما كان مضمراً وتوضيح الغامض فيه.أو أن يبني المعنى على معنى آخر يصعب فهمه إلا به، وقد يكون المعنى المبني عليه داخل

(١) المصدر السابق، ص ١٧٥ (
(٢) المصدر السابق، ص ١٧٧ ،١٧٨ (
(٣) منهاج البلغاء، ص١٧٨ (

الكلام أو خارجه، فإذا كان المعنى المبني عليه من خارج الكلام كان لابد من شهرته بحيث يدل على المعنى ويوضح ما غمض فيد دون وجود فاصل بينهما «وألا يحال بين المعنى وما يبنى عليه مما هو موجود في الكلام بما هو أجنبي عنهما، وأن يحسن سياق الكلام في ذلك حتى يعلم أن أحداهما بسبب من الآخر»[١] .أما إذا غموض المعنى راجع إلى اللفظ فينبغي لإزالته أن يقوم الشاعر ب:

_تفادي إستعمال الألفاظ والعبارات الحوشية ما أمكنه ذلك «ومتى لزّه إلى شيء من ذلك إضطراراً ، وأمكنه أن يقرن باللفظة ما يهتدي به إلى معناها من غير أن يكون ذلك حشواً « [٢] .أن الألفاظ الحوشية تؤذي السمع، وتنفر النفس، وتحول دون الشعور بلذة ما يعرض لفشلها في تحقيق المناسبة مع المعنى، والتعبير عنه.وفي حالة كون اللفظة مشتركة تدل على أكثر من معنى ينبغي على الشاعر حينئذ إنتقاء ألفاظ تكون أكثر تعبيراً، ولها طاقة إيجابية وتأثيرية تكشف عن المعنى وتحقق الشعرية المطلوبة.ويضرب القرطاجني لذلك قول الحارث بن حلزة:

زَعَمُوا أنّ كُلّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لَنَا وأنّا الْولاءُ [٣]

في هذا البيت نجد أن لفظة (العير) تحمل أكثر من معنى، إذ أنهم زعموا أن كل من أقام الخيام بأوتادها من مواليهم، أي أنهم حملوا جناية غيرهم بقتل كليب وائل، لأن العرب كانوا أصحاب غمد، ففسرت العير بالوتد.كما فسرت « العير» بأنها عير العين ، أي ما نتأ منها وبرز، بمعنى أنهم زعموا أن كل من برزت عير عينه فضربت جفنه من مواليهم، كما تعني ما يطفو على الحوض من الأقذاء.فاشتراك اللفظ « العير» في عدة معاني سبب إشكالاً لدى المتلقي، حول معناها الحقيقي في هذا البيت مما فتح الباب للتأويل، واحتمالات قد لا تناسب مقصد الشاعر، لذا كان تجنب استعمال مثل هذه الألفاظ دافعاً لتأويل المعنى ، وغموضه.وفي الكلام الذي قصد به التصريح ،وجب الإنتباه فيه من وصل كلمة بحرف، أو يحذف منها حرف، فيوصل بذلك ما حقه الفصل، ويفصل ما حقه الوصل،فتجنب مثل هذا الأمر ضروري كي لا يقع في المعنى لبس، وفي مثل هذا يستشهد القرطاجني بقول الأصمعي:

(١) المصدر السابق، ص ١٧٩ (
(٢) المصدر السابق، ص١٨٥ (
(٣) ديوان الحارث بن حلزة، ص ٨٠ (

لم ينالوا مثل الذي نلت منهم وسواءٌ ما نلتُ منهم ونالوا [١]

أن اللبس في معنى هذا البيت راجع إلى أن الشاعر قد أثبت في عجز البيت ما نفاه في صدره، لكن الأمر ليس على هذا النحو فاداة الجزم (لم) قصد بها الترخيم، ولم يقصد بها النفي كما يظهر للمتلقي للوهلة الأولى، «فيجب أن يتحفظ في الكلام المقصود به البيان نحو وقوع تلك الحروف التي يسبق الوهم إلى أنها مستندة إلى غير الحيز الذي أستندت إليه، فإن ذلك مستهلك للمعاني وحاجب للأفكار عن حقائق المقصود بالكلام» [٢] . أيضاً الحرص على ترتيب الكلام، وعدم الإخلال بوضعه، أو إزالة ألفاظه عن مراتبها فيحدث التقديم والتأخير وتتداخل الألفاظ فتغمض العبارة، ولا يتحقق من خلالها المعنى المراد إيصاله، من ذلك قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملّكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه [٣]

في هذا البيت يمدح الشاعر خال الملك هشام بن عبدالملك، فيخاطبه قائلاً: بأنه لا يوجد ما بين الأحياء رجل يضاهيه، إلا الملك هشام، فأبوه (يقصد الخال) أبو أمه (جد هشام لأمه) لكن العبارة قد خرجت عن المعنى المراد قوله،فاحتجب المعنى الحقيقي فيها.فأنه لا يرى نداً من الأحياء يرقى إلى درجة هذا الممدوح إلا هشام فأب الممدوح (الخال) هو أيضاً أبو أمه، فالتركيب بهذا الشكل جعل الفهم أمراً صعباً فلو قال: وما مثله في الناس حي إلا مملكاً أبو أمه يقاربه. فتركيز القرطاجني على ضرورة تماسك النص ، حتى يكفل حسن تأدية المعنى والتعبير عنه، والإفصاح عن مفهوم الكلام، هو حرص منه على توطيد الصلة بين الشاعر والمتلقي من خلال النص وبما يقدمه من أقوال تؤثر في المتلقي ، وهذا أمر لا يتأتى إلا بوضوح تلك العلاقة الرابطة بين الاثنين، فحدوث التناسب بين المعنى وعناصر الجملة هو تحقيق للغاية التي يحاول الشاعر إيصالها إلى المتلقي.

(١) منهاج البلغاء ،ص ١٨٦ (
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٧ (
(٣) لم أجده في الديوان، ينظر: منهاج البلغاء، ص١٨٧ (

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح :عبدالسلام هارون،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،ط١ ،القاهرة،٢٠١٠م .

٢-التعريفات، الشريف الجرجاني،تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت – لبنان،١٩٨٣م.

٣– الحيوان، أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق :عبدالسلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الجلبي وأولاده، ط٢، ١٩٦٦م.

٤-دلائل الإعجاز،أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن محمد الجرجاني،مكتبة الخانجي، ط٥، القاهرة،٢٠٠٤م.

٥- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، المجلد الثاني،تحقيق:محمد عبده عزام،دار المعارف،ط٤، القاهرة.

٦- ديوان أبي الحسن التهامي،أبي الحسن التهامي،تحقيق:د.محمد بن عبدالرحمن الربيع،مكتبة المعارف،ط١،الرياض، المملكة العربية السعودية،١٩٨٢م.

٧- ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق:د. بهجت عبدالغفور الحديثي،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،دار الكتب الوطنية،ط١، ٢٠١٠م.

٨- ديوان امرئ القيس،امرئ القيس،دار الكتب العلمية، ط٥،بيروت – لبنان،٢٠٠٤م.

٩- ديوان البحتري،الوليد بن يحيى الطائي،تحقيق: حسن كامل الصيرفي،دار المعارف، القاهرة،١٩٦٤م.

١٠-ديوان جرير،دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،١٩٨٦م.

١١_ ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، تحقيق:مروان العطية،دار الإمام النووي،ط١ ، دمشق، ١٩٩٤م.

١٢- ديوان ذي الرمة،شرح الخطيب التبريزي،الناشر،دار الكتاب العربي،ط٢،بيروت، ١٩٩٦

١٣-ديوان الشماخ، ديوان امرئ القيس،امرئ القيس،دار الكتب العلمية، ط٥،بيروت – لبنان،٢٠٠٤م.
١٤-ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري،تحقيق:درية الخطيب ،ولطفي الصقال،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ ،بيروت،٢٠٠٠م.
١٥- ديوان الفرزدق،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت – لبنان،١٩٨٧م.
١٦-ديوان نصيب بن رباح،جمع :د. داوود سلوم،منشورات مكتبة الأندلس،شارع المتنبي،مطبعة الإرشاد،بغداد،١٩٦٧م.
١٧-ديوان سقط الزند ،أبي العلاء المعري،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،١٩٥٧م.
١٨-سر الفصاحة،أبن سنان الخفاجي،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت – لبنان،١٩٨٢م.
١٩-كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،أبي هلال العسكري،تحقيق:علي محمد البجاوي،ومحمد أبو الفضل ابراهيم،دار الفكر العربي للطباعة والنشر،ط٢ .
٢٠-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ،تحقيق: عدنان درويش،ومحمد المصري،مؤسسة الرسالة،ط١،بيروت،١٩٩٢م.
٢١-لسان العرب،ابن منظور،مادة(عنا)،ج١٥،دار صادر،بيروت،١٩٩٥م.
٢٢-المثل السائر، ضياء الدين بن الاثير،تحقيق: احمد الحوفي،وبدوي طبانة،الناشر:دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.
٢٣-معجم شواهد العربية، عبدالسلام محمد هارون،الناشر:مكتبة الخانجي،ط٣،القاهرة.
٢٤-منهاج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني،تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة،دار الغرب الإسلامي،ط٣،بيروت،١٩٨٦م.
٢٥ _ منهج البحث اللغوي ،علي زوين، دار الشؤون الثقافية ،ط١، بغداد ، العراق، ١٩٨٦م.
٢٦-نقد الشعر،أبي الفرج قدامة بن جعفر،تحقيق: كمال مصطفى،الناشر: مكتبة الخانجي،ط٤، القاهرة.

المجلات والرسائل الجامعية:

١_ اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور الأخضر جمعي،أتحاد الكتّاب العرب،دمشق،٢٠٠١م.

٢_ اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي، مها خير بك ناصر،مجلة التراث العربي، ع٢،س٢٠٠٦م،أتحاد الكتّاب العرب، دمشق.

٣_ المتلقي عند حازم القرطاجني، زياد صالح الزعبي، مجلة الجامعة الإسلامية ،جامعة اليرموك، كلية الآداب، مج٩ ،ع١.

٤_ الخيال والتخييل عند حازم القرطاجني بين النظرية والتطبيق،رشيدة كلاع، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٥م.